نحو مواجهة الخطاب الكولونيالي في رواية "بعيدا عن الأعين" لـ سليم عبادو

أ.د إبراهيم بوخالفة[1] د. محمد يوسف غريب[2]

1- مخبر الممارسات الثقافية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة، Boukhalfa.ibrahim@cu-tipaza.dz

2- مخبر الممارسات الثقافية، المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة، ghrib.medyoucef@cu-tipaza.dz

تاريخ الإيداع: 2025/05/21 **تاريخ المراجعة:** 2026/02/06 **تاريخ القبول:** 2026/02/08

ملخص

تستعرض رواية "بعيدا عن الأعين" لسليم عبادو تجربة مثقف فرنسي معارض لسياسة الاحتلال، واعتقاله من قبل المخابرات الفرنسيّة حتى وصل بهم الأمر إلى قتله تحت سيف التّعذيب، ورفض تحمل المسؤوليّة عن اختفائه؛ حيث تندرج هذه الرّواية في إطار تمثيل الجانب المسكوت عنه في ثورة التّحرير الجزائريّة الكبرى، وهو ما يقدم أهميّة بالغة في كشف وفضح الخطاب الكولونيالي؛ فكيف وجّه خطاب الرواية رؤيته في مواجهة هذه النزعة! من خلال ما جاء فيها عبر ما شهدته أصوات فرنسيّة على همجيّة حكومتها في التعامل مع الثورة الجزائريّة؛ التي تشكّلت للمطالبة بالحريّة والحق في الحياة الكريمة، والحق في تقرير المصير بعيدا عن التبعيّة للمحتل، ولرغباته في الهيمنة.؟

الكلمات المفاتيح: تاريخ، ثورة، حزب شيوعي، رواية، كولونياليّة، مقاومة ثقافيّة.

*Towards Confronting Colonial Discourse in Salim Abbadou's Novel *Far from the Eyes**

Abstract

Salim Abbadou's "Far from the Eyes" presents the harrowing experience of a French intellectual who opposed colonial policies and was subsequently arrested by French intelligence services, ultimately dying under torture while the authorities denied responsibility for his disappearance. The novel situates itself within the broader framework of representing the silenced or marginalized aspects of the Algerian War of Liberation. As such, it assumes critical significance in exposing and deconstructing colonial discourse. The narrative poses a central question: how does the novel articulate a counter-discourse in opposition to colonial ideology? Through the voices of French individuals who bear witness to the savagery of their own government in suppressing a revolution grounded in the demands for freedom, dignity, and the right to self-determination. The novel offers a powerful indictment of colonial hegemony and affirms the legitimacy of anti-colonial struggle.

Keywords: History, revolution, communist party, novel, colonialism, cultural resistance.

المؤلف المرسل: د. محمد يوسف غريب، gharibyoucef@gmail.com

توطئــة:

يتجسّد الخطاب الكولونيالي اليوم في أشكال تعبيريّة عديدة وضمن قنوات تواصل كثيرة وبدائل لا حصر لها. فالخطاب الكولونيالي في الإعلام المحلّي أو الإقليمي، أو الدولي هو نفسه ورسائله على درجة عالية من التّركيز والتأثير. من أجل ذلك يتعيّن على الانتلجنسيا الوطنيّة التّفكير الجاد في إنشاء خطاب مضاد، يسعى إلى تقويض سرديّة وكلاء الثقافة الغربيّة في الدّاخل والخارج. إنّ العقل الكولونيالي راسخٌ في خطاب العولمة، وجذوره ممتدّة في كلّ بدائل التواصل الأدبي. وسيكون مركز اهتمامنا في هذه الدّراسة مساءلة بعض نصوص الرّوائي الجزائري النّاشط سليم عبادة، وهي رواية "بعيدا عن الأعين".

تلك الرواية التي تثيرا جدلا حامي الوطيس حول أحداث الثامن من ماي 1945. ما حقيقة تلك الأحداث؟ وما هي أهدافها في حينها؟ وما هي أبعادها الاستراتيجيّة وتأثيراتها الفوريّة؟ نحاول أن نجيب عن هذه الأسئلة في جزئها التّطبيقي. ولكن قبل ذلك لا بدّ من إضاءة حول الإطار المعرفي لإشكاليّة الملتقى. ما المقصود بالخطاب الكولونيالي؟ كيف يتجسّد هذا الخطاب في النصّ الروائي؟ ما هي جماليّات التّشفير والتّرميز في الخطاب الكولونيالي؟ وما هي طرائق الردّ عليه وتقويض أسسه المعرفيّة والإيديولوجيّة؟ وتلك هي انشغالات الجزء الأول من الدّراسة.

أمّا بخصوص أدوات الاشتغال الإجرائي فإنّنا نلجأ في مثل هذه الدّراسات إلى تحليل الأنساق الثقافيّة المضمرة في النص الروائي وإخراجها إلى دائرة المعلن والمعلوم. وكان المنهج الاستقصائي هو الأنسب في تحليل مضمرات النّصوص التخييليّة، حيثُ يلجأ منشئو الخطاب إلى إنتاج الأنماط البشريّة والثقافيّة والاجتماعيّة. والغاية من ذلك ليست غاية أدبيّة بقدر ما هي فكريّة، تعبّر عن تحيّزٍ ما، يتعيّن كشفه.

مفاهيم عامّة:

ما المقصود بالخطاب الكولونيالي؟ وما المقصود بالدّيكولونياليّة؟ وما هي معالم الخطاب المضاد للكولونياليّة؟ ما الفرق بين الكولونياليّة والاستعمار؟ إنّ من شأن تفكيك هذه المصطلحات أن يضيء الحقل المعرفي المتعلق بالخطاب الكولونيالي وما يحيطُ به من صعوبات. في البداية يجبُ التأكيد أنّ هذه المصطلحات انبثقت بعد ظهور الاستعمار بقرون عديدة؛ فمنذ ما قبل التاريخ، كانت توجد قوى عظمى تحتلّ أراضٍ خارج حدودها وتفرضُ عليها هيمنتها السياسيّة، وتصادر خيراتها الاقتصاديّة وتستعبد ساكنتها. غير أنّ المفاهيم والمصطلحات المرافقة لهذه الممارسة الاستعماريّة على الأرض لم تظهر إلاّ في عصر النّهضة، مع ظهور الاستعمار وحركات التحرّر الوطني منه. عندئذ نشأت هذه المصطلحات من أجل تفكيك الخطابات الكولونياليّة، وأسسها المعرفيّة والإيديولوجيّة.

ماذا يعني إذا مصطلح الكولونياليّة؟ هناك بعض الاختلاف في تأويل هذه المصطلحات من النقّاد الثقافيين. فإدوارد سعيد على سبيل التّميل، وهو المؤسس لحقل النقد الثقافي، الذي كرّس جلّ جهوده الأكاديميّة في تفكيك الخطاب الاستشراقي، في واحدٍ من أهمّ مؤلّفاته، وهو "الاستشراق"، وقد ترجمه كمال أبو ديب، كما ترجمه لاحقا محمّد عناني، هذا الناقد الرائد يفترض صلة ما بين الامبرياليّة والكولونياليّة، فيرى أنّ "الامبرياليّة تعني الممارسة النظريّة والتوجّهات الخاصّة بمركز حواضري متسيّد يحكم إقليما نائيا؛ بينما الكولونياليّة التي كانت على الدّوام تقريبا نتيجة للامبرياليّة، هي زرعٌ للمستوطنات في إقليمٍ ناءٍ"[1]. إذا، ومن وجهة نظر إدوراد سعيد، فإنّ الكولاونياليّة تكون في العادة مسبوقة بهيمنة سياسيّة وثقافيّة من قبل مركز حواضري وباتّجاه دولة أجنبيّة ضعيفة.

هذه الهيمنة تنتج احتلالا لأراضي تلك الدولة وزرعا مستوطنات فيها، لتتحوّل إلى إقليم تابع لمركز مسيطر. وهكذا تفقد الدّولة المستعمَرة سيادتها واستقلالها، مع ما يتبع هذا المعطى من علاقات هيمنة وقوّة وسيطرة على جميع الأصعدة. "إنّ كلمة استعماري (كولونيالي) حسب قاموس أكسفورد، للغة الانجليزيّة اشتُقّتْ من كلمة **كولونيا** التي تعني مزرعة أو مستعمَرة، أي أرضا فارغة قد وقع إعمارها من طرف عناصر وافدة من قوميّة أجنبيّة"[2].

يخصص سعيد الامبرياليّة للقوة الإيديولوجيّة، بينما الكولونياليّة للممارسة على الأرض، كإقامة المستوطنات وتهجير الأصلانيين ومصادرة الأراضي، وهكذا. بعبارة أخرى تعني الامبرياليّة فرض هيمنة سياسيّة وثقافيّة واقتصاديّة على دولة أجنبيّة، ولا يُشتَرَطُ في ذلك الاستيطان في الأرض المهيمن عليها، بل يمكن للامبرياليّة أن تسيّر تابعيها عن بعد. فأمريكا اليوم تمارس امبرياليّة على العالم العربي وعلى أوروبا، مع أنّها لا تحتلّ أيّ بلد عربي احتلالا تقليديّا أو أوروبيا فعليّا. إنّها تفرض سياستها من خلال الترهيب والتهديد بالعقوبات الاقتصاديّة والسياسيّة. وكثيرا ما تحقّق تلك التّهديدات أثرها المرجو في عالم يعاني من اختلال توازن القوى.

بعد عصر النّهضة الأوروبيّة توسّعت المستوطنات التي أقامتها الدول الاستعماريّة الكبرى على غرار بريطانيا وفرنسا وإسبانيا، بسبب توسّع المجتمعات الأوروبيّة التي تمدّدت خارج حدودها. هذا المعطى جعل "مصطلح الكولونياليّة شكلا مميّزا للإيديولوجيا الامبرياليّة الأعمّ"[3]. والمقصود بالإيديولوجيا الامبرياليّة، هوّ أنّ الدول الأوروبيّة وبفعل قوّتها العسكريّة وتفوقها التكنولوجي والعلمي، يحقّ لها أن تتزعّم العالم، وأن يكون نموذجها الحضاري هو الأوحد في العالم كلّه. ويستندُ هذا الحقّ الاعتباطي إلى عقيدة عرقيّة، تضع العرق الهندو–أوروبي في طليعة الأعراق البشريّة؛ فهو الأكثر تطورا ونبلا، قد حبته **الطّبيعة** بكل الفضائل والمزايا، التي حُرِمتْ منها الأعراق غير الأوروبيّة. لقد انفرد الرّجل الأبيض بكلّ سمات التفوّق على كلّ الشعوب. وبسبب ذلك، فإنّه لا يُسمَحُ للدّول التابعة أن تكون لها كينونة أو وجودٌ مستقلٌ يميّزها عن غيرها من المجتمعات. إنّه لا يُسمحُ لها أن تحكم نفسها. وإنّ سلوك الحكومات الغربيّة الاستعماريّة وأمريكا لا يستطيع أن يفهم كيف أنّ الفلسطينيين مصمّمون على حكم أنفسهم، وطرد الامبرياليّة الغربيّة من أرضهم ومن عقولهم. إنّهم لم يتعوّدوا على هذا السّلوك الجريء من جماعات تعتبرها بدائيّة وهمجيّة وبربريّة. وهذا الأمر المستجدّ يدهشهم ويثير اشمئزازهم. وبسبب ذلك، فإنّ الغرب مصمّم على القضاء على كلّ أشكال المقاومة وفي كلّ الوطن العربي. وهو يسعى إلى تحقيق هذا الهدف، ليس حتما بالقوّة العسكريّة، ولكن من خلال وكلائهم الخاضعين.

قديما أُنشئتْ المستعمرات من أجل إمداد اقتصاديات أوروبا وأمريكا بالمواد الأوليّة التي تنعش الرأسماليّة الكومبرادوريّة[4]. لقد كانت العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر مبنيّة على أساس "تراتبيّة صلبة للاختلاف، تستعصي بشدّة على الدّخول في تبادلات عادلة ومتكافئة سواء كانت اقتصاديّة أو ثقافيّة أو اجتماعيّة"[5]. تفترض العلاقة بين المركز والهامش غربا متعاليا ومتسلّطا، وهامشا تابعا وخانعا، يُحكَمُ من خلال عصابة موالية للإمبريالية العالميّة ومفصولة عن شعوبها.

أما المصطلح النقيض للكولونياليّة فهو الدّيكولونياليّة. ومعلوم أنّ السابقة الفرنسيّة (Dé) تعني نفي الفعل وإبطاله. والفعل هنا هو الكولونياليّة، تلك الحزمة من القيم الاستعماريّة ذات الطبيعة الإيديولوجيّة والسياسيّة والفكريّة الراسخة في العقل المستعْمَر. فالديكولونيالايّة هي الكتابة المضادّة للخطاب الكولونيالي، وهي السّرد المعكوس، الذي يناقض السّرديّات الكبرى المنبثقة عن التنوير الغربي.

أما ما بعد الكولونياليّة، فغالبا ما نعني بها "كلّ ثقافة تأثّرتْ بالعمليّة الامبرياليّة منذ اللّحظة الكولونياليّة حتّى يومنا الحالي"[6]. والنقد ما بعد الكولونيالي هو ذلك الذي ينصبّ على تفكيك الخطاب الاستعماري وتقويض أسسه الإيديولوجيّة وتعرية نواياه الاستعمارية وأبعاده اللاإنسانيّة. إنّ النقد ما بعد الكولونيالي يتّخذ من الخطابات الكولونياليّة موضوعات للدّراسة والنّقد. وهكذا يترافق كلّ من الخطاب الكولونيالي وما بعد الكولونيالي، في مسارات الدّراسات الثقافيّة والنّقد الثقافي، مع أسبقيّة حالة الاستعمار وآثارها على المستعمرات وعلى الثقافات والعقول.

استعمار العقل في الرواية الجزائريّة المعاصرة:

تمكّنتْ فرنسا خلال فترة احتلالها للجزائر من إنتاج طبقة مثقّفة تدين بقيم الغرب الثقافيّة والفلسفيّة وتتبنّى رؤيته للعالم ونمط عيشه، وشعاراته الثقافيّة. كما أنّ الطبقة، وإن بدت في خطابها المعلن وطنيّة، إلاّ أنّها في الجوهر من طبيعتها، متماهية مع الرؤية الفكريّة للاستعمار. بمعنى أنّها ترى في تماهي الجزائريين مع المجتمعات الأوروبيّة حالة من الخلاص الحضاري الذي يمكنه أن يجلب الرّفاهيّة والسّعادة للعرب. إنّ هذه الرؤية لا تعدو أن تكون رؤية استشراقيّة مقنّعة بقناع التّنوير والحداثة. وتعود جذورها الأولى إلى فترة الاستعمار عندما انبثق حزب سياسي جزائري يدعو إلى الاندماج مع فرنسا، والتخلي عن المرجعيّة العربية والإسلاميّة. لقد كانت الرواية الجزائريّة إبان الاحتلال ناطقة بالفرنسيّة، وتُعتَبرُ هذه الظّاهرة انتصارا للنظام الثقافي الكولونيالي الذي فرضته فرنسا. إنّ نشأة طبقة عالمة ومنتجة للمعرفة بأدوات فرنسيّة، وبعقل فرنسي هو نجاحٌ لمسح معالم الهويّة الوطنيّة. لم تكن الكتابة باللّغة الفرنسيّة، في عهد الاستعمار أو الآن، أداة تواصل أدبي بريء. فاللّغة أداة تفكير وقالب من قوالب التفكير، وهي حمّالة لقيم النّاطقين بها.

في كتاب صدر في مطلع 2025، تحت عنوان "المرجعيّات المستعارة في الرواية الجزائريّة المعاصرة"[7] قمنا بتعرية التيّار التّغريبي في الرواية الجزائريّة المعاصرة، هذا التيار الذي كان في الماضي القريب ممثّلا للتيّار الماركسي في الجزائر، ومع فشل السّرديّة الاشتراكيّة انحاز إلى الفكر الغربي الرأسمالي، تحت طائلة التنوير والحداثة والعلمانيّة. "لقد رحّلت رواية ما بعد الحداثة الكثير من أمراض الغرب وعقده إلى الثقافة الوطنيّة بدعوى التنوير والتّحرّر والكونيّة. فشاع تدنيس المقدّسات وانتهاك المحظورات والتشكيك في النصوص القرآنيّة واعتبارها إنتاجا بشريّا يخضعُ إلى النّقد التاريخي"[8]. كلّ ذلك من أجل علمنة العقل الجزائري، وتحويله إلى عقل أداتي، يفكّر ضمن مبدأي اللّذّة والمنفعة. فالتيّار التغريبي في الجزائر، ومن خلال بدائل تواصليّة متنوّعة يحاول علمنة الثقافة الوطنيّة وشطب الجانب الميتافيزيقي منها، تأسّيا بالعقل الغربي الذي أحدث قطيعة مع الكنيسة منذ مطلع حقبة التنوير، والثورة الفرنسيّة مع نهاية القرن الثامن عشر. لقد كانت تلك الثورة تحوّلا عميقا في بنية العقل الغربي والثقافة الأوروبيّة، ولكلّ ذلك أثرٌ عظيمٌ على الحضارة العالميّة الحديثة، وعلى التحولات التي ستحصل خارج أوروبا، وداخلها.

لطالما اعتُبِر الاستعمار مثاقفة بالإكراه، أي نقل لفكر المستعمر إلى المستعمرات وفرضه بالقوّة."فقد أحال أنثروبولوجيو العشرينيات الاستعمار إلى نوع من الاحتكاك الثقافي بين ثقافات مختلفة، أما الآن فلا أحد يتكلم عن تغير ثقافي، بل عن تغير اجتماعي؛ والاستعمار ليس إلاّ مظهرا من مظاهر التغير الاجتماعي، والفوارق التي مازالت موجودة بين الحضارات، والتي يعبّر عنها مفهوم "الاحتكاك الثقافي" وإن بشكل مبطن لم تعد مهمّة"[9]. إنّ التغير الثقافي الموجّه في اتّجاه واحد سرعان ما يتحوّل إلى تغيّر اجتماعي. والأفكار تتنزّلُ سلوكا عمليّا، موسوما بالغيريّة. إنّ قولنا أنّ الفرنسيّة لغة عالميّة، ولغة فن وجمال وحضارة، تجد تجسيدها اجتماعيّا بفرضها ليس كأداة

تواصل فحسب، بل كأداة تفكير وبحث علمي، ولغة معرفة منتجة لقيم الناطقين بها. كما أنّ ازدراء اللغة العربيّة باعتبارها لغة ميّتة وعاجزة عن استيعاب الحداثة، فكرة استعماريّة تجد سندها في تغيير الذّهنيّات باتّجاه تبخيس الذّات، والقطيعة مع التّراث الذي لم يعد ذا قيمة ثقافيّة أو حضاريّة أو حتّى أخلاقيّة.

لقد فرضتْ فرنسا لغتها وثقافتها في مستعمراتها القديمة في إفريقيا الشماليّة والجنوبيّة، وقد عملت طيلة فترة الاحتلال على تكوين جيل مشبعٍ بالثقافة الفرنسيّة، وناطقٍ بلغتها، ومؤمن بقيمها. ومن رحم هذا الجيل نشأت الفرنكوفونية في الجزائر، ولا تزال نافذة في أجهزة السلطة وفي الإدارة العامّة وفي وزارة التعليم العالي ووزارة التربية. إنّها كالسّرطان المنتشر في الجسد، تعمل على عرقلة التّعريب.

تنتشرُ اللّغة الفرنسيّة في الجامعات والمعاهد وفي المصانع والإدارات العموميّة، وفي الخطابات الرسميّة وغير الرّسميّة. وأحيانا يطالعنا مسؤول من مسؤولي الدّولة في وسيلة إعلام عموميّة وهو يخاطب الرأي العام باللّغة الفرنسيّة، وأحيانا بلغة هجينة، لغة دارجة ممزوجة بلغة فرنسيّة. وكلّ هذه الظّواهر السلبيّة تنمّ عن ازدراء للّغة الوطنيّة، وكأنّها قاصرة عن إنتاج الفكر الحديث والمعاصر، وقاصرة على مجاراة الحداثة الغربيّة ومنتجات العلوم والتّكنولوجيا. إنّها في الأساس فكرة استشراقيّة، ترى أنّ العرب لا يمكنهم أن يحقّقوا نهضتهم العلميّة إلاّ من خلال النّموذج الغربي للنّهضة. وعليهم بالتالي أن يتنازلوا عن مفهوم السيادة الوطنيّة والاعتزاز بالذّات بينما "الاستقلال الفعلي ليس تحويل السيادة السياسية إلى جماعات تتعهّد بمتابعة التغريب ومتابعة غرس تفوق القيم الغربية. إنه الإصرار على إرادة عيش حسب قيم خاصّة، قيم لذاتها"[10]. يُدرك الغرب جيّدا أنّ العرب يملكون نقاط قوة في تراثهم الثقافي والعلمي، فلو أدركوا أهميّة العودة إلى الذّات وتمسّكوا بهويّتهم التاريخيّة، لاستعادوا قوّتهم الغابرة، ولطردوا الغرب من أراضيهم.

تشكّلُ العولمة بنسختها الغربيّة تهديدا كبيرا للهويّة العربيّة والإسلاميّة؛ ومع ذلك، فإنّ قطيعا واسعا من المثقفين العرب يسوّقون لها، ويعملون على إنفاذ برامجها ومشاريعها من خلال الثقافة والأدب والفنون بكلّ تمظهراتها. ففي الجزائر على سبيل المثال، ينهضُ عددٌ كبيرٌ من كتّاب الرواية الحداثيّين بمهمّة تطبيع عادات وممارسات اجتماعيّة وثقافيّة غربيّة، وغريبة عن مجتمعنا، ومن شأن هذا الفعل الثقافي أن يدمّر الكثير من القيم ذات العلاقة بانتمائنا الحضاري والتاريخي، دون اقتراحٍ للبديل. فالغرب يرفض أن يحوّل آخريه إلى المثل، رغم الشعارات التي يرفعها كشرط من شروط تقديم المساعدات الاقتصاديّة للدّول النامية.

إنّ مشروعا تغريبيّا ضخما يضطلع به هؤلاء الروائيّون الحداثيّون من خلال السّرد الروائي بشكلٍ خاص. تمر استراتيجيّات الهيمنة على العقل العربي عبر استعمار ذلك العقل، وإيهامه بأهميّة وأفضليّة النموذج الغربي للحداثة، فهي مشروع لم يكتمل بعد، ولم ينجز مهمّته الإنسانويّة التي انبثقتْ عن التّنوير. ويتعيّن إذا صناعة شرق أكثر انسجاما مع مصالح الغرب صاحب الحضارة الكونيّة. وسيصار حينئذ إلى الدّوس بالنعال على آخريّة الآخرين الذين يتشبّثون باختلافهم ويجادلون على ولائهم الذي لا يقبل التفاوض كما لا يقبل القسمة. إنّ العربي لا يمكنه أن يكون شيئا آخر سوى أن يكون عربيّا، وهو لا يكون كذلك بحقّ إلاّ إذا كان مسلما، ولا يمكنه أن يكون غير ذلك، دون أن يتخلّى على حداثته المتعلّقة بعصره وبتاريخه، وتاريخ محيطه الدّولي. وإنّه سيكون أكثر تأثيرا في عالمه إذا حافظ على اختلافه، فالنزعة نحو تشميل الثقافة هي نزعة غربيّة تنتهي بذوبان الهويّات غير الغربيّة في الهويّة المتعالية والمهيمنة.

المقاومة الثقافيّة في رواية "بعيدا عن الأعين" لسليم عبادة:

تتمحور الرواية حول سرديّة المقاومة الثقافيّة التي يضطلعُ بها المواطن الجزائري من أصول فرنسيّة، والمدعو موريس أودان (Maurice Auden). عاشت تلك الشخصيّة إبّان حرب التحرير الكبرى، ولكن مسيرة الوعي ابتدأت تتشكّل قبل ذلك بسنوات. أظهر موريس ذكاء حادّا في سنٍّ مبكّرة، الأمر الذي أغرى والده العسكري أن يدخله إلى مدرسة الأشبال، حيثُ يتعلّمُ ويتدرّبُ الجندي الفرنسي من مختلف الرتب والتخصّصات. كان ذلك مباشرة بعد اجتياز المرحلة الابتدائيّة من التعليم. وكان الطفل آنذاك لا يميلُ إلى الحياة العسكريّة. فهو من طبيعة مسالمة، يتجنّبُ كلّ مظاهر العنف.

تبتدئ الأحداث بالمشهد الختامي الذي انتهت به مسيرة المقاومة لموريس أودان، حيثُ تقرّر جامعة السوربون أن تناقش رسالة الدّكتوراه التي كان يتابعها موريس قبل اختطافه. كانت الرسالة في مجال الرياضيّات التي كان البطل يتفوّقُ فيها منذ أن كان تلميذا في الابتدائيّة. وتتمّ المناقشة بحضور زوجته جوزيت (Josette)، وطيفٌ من أصدقائه وشركائه في المقاومة السياسيّة التي كان الحزب الشيوعي منخرطا فيها في مناهضته للاستعمار الفرنسي للجزائريين، وما يتعرّض له هؤلاء من اضطهاد وتقتيل من قبل الجيش الفرنسي. وكانت زوجته من أول من احتضن فكر موريس ونضاله. لقد كانت هي أيضا شيوعيّة. في نهاية المناقشة يتقدّم الصحفي فرونسوا مورياك، من صحيفة "الإكسبريس" الفرنسيّة، يطلب منها تعقيبا على هذا الحدث العلمي الذي يقدّمُ فيه التّكريم لموريس، جراء إنجازه العلمي، فانطلقت تقول: "كنّا شهودا حتّى قبل 1نوفمبر 1954 على كلّ ما كان يعانيه الجزائريّون من الاستعمار. في هذا الوقت بالذّات وفي هذا البلد لا يوجد خيارٌ ثالثٌ، إمّا أن تكون مع الاستعماريين وإمّا أن تكون مع الذين لا يقبلون بأن يعيشوا تحت الإهانة والذلّ وأن تُمَسّ كرامتهم. ونحن كشابين منخرطين في الحزب الشيوعي الجزائري اخترنا معسكرنا، اخترنا أن نتخندق مع الشّعب الجزائري"[11]. ما الذي يمكننا أن نستنتجه من خلال هذا التّصريح العلني؟ إنّ أقلّ ما يقال بشأنه هو أنّ الشعب الفرنسي لم يكن كتلة واحدة بخصوص سياسات الحكومة الاستعمارية. توجد فئة ما، على قلّتها، معارضة للاستعمار كظاهرة لا إنسانيّة. ومن بين فلاسفة القرن العشرين الكبار، كان جون بول سارتر، الفيلسوف الوجودي معارضا لاحتلال الجزائر، ومعارضا لسياسة القمع والتّعذيب الذي كان الجيش الفرنسي يمارسها في الجزائر. لقد لجأت فرنسا إلى "أساليب متوحّشة لقمع انتفاضة الشّعب الجزائري؛ وتعرّضتْ مثل هذه السياسة إلى انتقادات داخليّة من مفكّرين فرنسيين"[12] كُثُر. ومن بين هؤلاء مناضلو الحزب الشيوعي الفرنسي. فقد كان الفكر الماركسي فكرا عالميّا، ويدعو إلى تحرر الشّعوب من اضطهاد الحكّام.

والمفارقة التاريخيّة في هذا السياق، هي أنّ ماركس، وفي مواقفه العلنيّة، كان يؤيّد احتلال الغرب للدول العربية الإفريقيّة والآسيويّة ذات الأنظمة ما قبل الرأسماليّة. فالاستعمار من شأنه أن يدمّر نمط الإنتاج ما قبل الرأسمالي، لتحلّ محلّه الرّأسماليّة. هي مرحلة ضروريّة للعبور بالمجتمع نحو الاشتراكيّة."علينا ألاّ ننسى أنّ هذه التجمّعات القروية الشاعرية مهما بدت مسالمة وهادئة كانت على الدّوام القاعدة الصّلبة للاستبداد الشرقي"[13]. ومن أجل التخلّص من هذه الأنظمة المتكلّسة والمنغلقة عن كلّ تحرر عالمي، لا بدّ من استعمارها واستبدال أنظمتها بما يناسب حركة التاريخ الحرّة باتّجاه حضارة اشتراكيّة إنسانيّة. بهذا المنطق الاستعماري والتّدميري يفكّرُ الماركسيون في الشّرق العربي والإسلامي.

والحقيقة أنّ هذه الرواية تطرح مشكلة سياسيّة مثيرة للجدل، وهي موقف الحزب الشيوعي الجزائري من حرب التّحرير ومن الاستقلال ومن علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي. غير أنّنا يمكن أن نحسم إلى حدٍّ ما هذه الإشكاليّة بالعودة إلى المواقف الماركسيّة المعلنة من استعمار أوروبا لدول العالم الثالث. إنّ الماركسيّة تؤيّد احتلال فرنسا للجزائر، كما أيّدتْ من قبل احتلال بريطانيا للهند، بدعوى أنّ الأنظمة المستبدّة بتلك الدّول تكبّل العقول وتشلّ حركة التاريخ وتمنع ظهور الرأسماليّة، التي تعتبر الممر الوحيد للنّظام الاشتراكي.

بالعودة إلى الرواية، يمكننا أن نتابع تطور الوعي السياسي والاجتماعي للشاب النّاشئ موريس أودان، وهو تلميذٌ بمدرسة الأشبال بحمام ملوان. والواقع أنّه لا يستطيعُ أن يكون عسكريّا، فهو ينبذ العنف، ولا يتمتّع ببنية جسديّة قويّة. إضافة إلى كونه متعلّقا بوالدته، فهو عاطفي بشكل لافت. كان لا يزال يمارس تكوينه العسكري، لماّ استقلّتِ فرنسا عن النازيّة. وفي ذات الوقت حصلت مجازر الثامن من ماي 1945، حيثُ قُتِل الآلاف من الجزائريين إثر مظاهرات سلميّة تطالب بالاستقلال.

دُعِيَ موريس من قبل رفاقه في المدرسة للاحتفال بانتصار فرنسا على ألمانيا النّازيّة، ولكنّه امتنع، وأبدى تعاطفا واضحا مع ضحايا أحداث الجزائر. إنّه يعتبرهم بشرا ويستحقّون العطف الإنساني. فإذا كان الفرنسيّون قد قاتلوا من أجل الحصول على استقلالهم، فكذلك من حقّ الجزائريين أن يقاتلوا من أجل الاستقلال. وأكثر من ذلك، فإنّ ضحايا الثامن من ماي لم يرفعوا سلاحا، وكانت مظاهرتهم سلميّة وتطالب فرنسا ما كانت قد وعدتْ به من قبل. أبدى موريس تعاطفا إنسانيّا مبكّرا مع الجزائريين؛ فهو بطبيعته لا يحتمل العنف مهما كانت درجته ودوافعه. وكانت زوجته من نفس طينته. فقد دفعها تكوينها اليساري بالانحياز لقضايا المستضعفين. كانت تعارض التعذيب والقمع الذي تبديه السّلطة الأمنيّة مع المقاومين السياسيين والعسكريين. وكان أوّل اختبارٍ واجهه هو عندما جمعهم الضابط المسؤول عنهم في المدرسة، وكلّفهم بارتداء الزيّ العسكري وحمل الأسلحة الفرديّة، والتوجّه نحو مدينة ليون لمواجهة الاحتجاجات المدنيّة التي يقوم بها العمال للمطالبة بتحسين وضعهم الاجتماعي. "تحرّكت الشاحنات تحمل مئات المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 14 إلى 16 سنة لتصل بعد ساعات قليلة إلى قلب مدينة ليون (....) تعالت صيحات الجرحى وعمّتْ الفوضى المكان ووصل الأمر إلى إطلاق النار على البعض. كان موريس تحت الصّدمة ويكاد يكون مشلولا دون ردّة فعل حتّى أنّ حياته تعرضتْ للخطر بسبب المقذوفات التي كان المحتجون يرمونها في اتجاههم"[(14)]. كانت هذه أول تجربة في حياته العسكريّة، وقد اضطُرّ لمواجهة المدنيين المسالمين في شوارع مدينة ليون. وسرعان ما انسحب من الميدان منهكا، وقد أساءته هذه الموجة من العنف التي تتضارب مع مزاجه المسالم.

شبّ موريس، وتعرف في المدرسة على فتاة، وكانت بينهما علاقة عاطفيّة باركتها والدته. وقد سعد كثيرا لمّا اكتشف الإيديولوجيا الماركسيّة ومبادئها الإنسانيّة، وسعدت رفيقته جوزيت لما اكتشفت تطابقهما الفكري والعاطفي. قالت له "أنا متعلّقة جدا بنضالي ضدّ الاستعمار، ولا أستطيعُ أن أبتعد أبدا عن هذا الطّريق، فكنت أخشى أن يسبّب هذا شرخا بيني وبين من سأحبّ"[(15)]. كان انسجام العشيقين فكريّا وعاطفيّا محطّة هامّة في تاريخ هذه الشخصيّة المناضلة ضدّ الاستعمار ومن أجل حقوق الأقليّات. إنّ الإيمان بكرامة الإنسان هي أهمّ ما يميّز شخصيّة موريس أودان وعشيقته؛ وسيؤدّي به هذا السبيل إلى الاصطدام مع الحكم العسكري الذي تنتهجه الحكومة الكولونياليّة. لقد اعتنق الماركسيّة لأنّها ترفع شعارات إنسانيّة، وتجاهر برفضها للاستعمار والتّعذيب

ومصادرة الحريّات. كانت هذه المبادئ المعلنة في الخطابات والقاعات المغلقة غائبة في سياسات الدّول الشموليّة، كالاتحاد السوفياتي حينها، والصين وأوروبا الشرقيّة؛ وكلّنا يعلم الدكتاتوريّة التي مارسها ستالين والذين جاؤوا بعده.

وفي إشارة عابرة، أعلن موريس إعجابه بالإسلام لأنّ هذا الدّين يؤمن بإنسانية الإنسان وبالعدالة الاجتماعيّة والحريّات الفرديّة. وهذه هي المقدّسات التي يحتفي بها موريس ويناضل من أجلها. وسنجد كل تلك المبادئ مجسّدة في سلوك الرّجل، كما وجدناها في فكر وسلوك فرانس فانون، وغيره من الفرنسيين المتعاطفين مع أصحاب القضايا العادلة. لم يكن المستوطنون الفرنسيّون كتلة واحدة؛ فقد كان الكثير منهم ضدّ سياسات الحكومة الاستعماريّة، ويرغبون في التعايش السلمي بين الشّعوب، وعدم إقصاء أيّ طرف من الأطراف الاجتماعيّة عل أساس عرقي أو ثقافي أو ديني.

تزوج موريس وجولييت على طريقة العلمانيين، دون المرور على الكنيسة، وكانت سعادة موريس بزوجته الجميلة غير كافية لتنسيه همومه وأحزانه التي يسبّبها له اضطهاد السلطة الاستعماريّة للعرب."هو إحساس بالقهر والذّنب في آنٍ واحدٍ تجاه مواطنينا من الجزائريين ذوي الأصول العربيّة عندما أراهم يعانون التّمييز والظلم بينما نعيشُ نحن بسلام"[16]. توحي هذه النبرة بقلق عميق من المستقبل الذي يمكن أن يؤول إليه البلد الواقع تحت طائلة العنف المفرط. إنّ في نبرة موريس شعورا بالوصاية على أصحاب الأرض، وكأنّهم لاجئون عند الفرنسيين. إنّ مقولة الجزائر فرنسيّة لا تزال تجد لها مكانا في لاوعي موريس رغم تعاطفه مع المستضعفين. وكلّ ما يرجوه هؤلاء الإنسانويون هو أن يكون العرب مشمولين بالعطف الدّيمقراطي وبنفس حقوق الفرنسيين. لتبقى المظلة السياسيّة فرنسيّة تابعة للمركز الحواضري.

يوجد إحساسٌ عميقٌ في نفسيّة مورس أودان أنّ العنف الكولونيالي خطرٌ على المستعمَر وعلى المستعمِر على حدٍّ سواء. إنّ هذا العنف إذا عمّ البلاد سمّم وجود المستوطنين ودفعهم إلى مغادرة الوطن. ولقد عبّرت والدة موريس عن تعلقها الشّديد بالجزائر، مسقط رأسها. كانت ترى أنّ الجزائر توفّر من الدّفء والجمال ما لا توفّره الحياة الصّاخبة بأوروبا. وقد ألحّت على زوجها أن يحول عمله إلى الجزائر من أجل الالتصاق بالأرض التي احتضنتها في طفولتها.

لقد رأينا نتيجة العنف الكولونيالي الذي يمارسه اليهود على أصحاب الأرض كيف ولّد هجرة عكسيّة. فالإسرائيليّون لم يعودوا آمنين على حياتهم في أرض فلسطين، الأمر الذي دفع الآلاف منهم إلى العودة إلى بلدانهم الأصليّة خلال طوفان الأقصى. لقد غادروا البلاد وهم لا ينوون العودة. إنّ أول من يدفع ثمن العنف الكولونيالي هو المستوطن. وهذا الهاجس هو الذي يؤرق الإنسانويين الفرنسيين الذين يخشون ضياع غنيمة الاحتلال. وفي هذا السياق يقول الكاتب الفرنسي فرانس فانون:"إنّ العنف يرتدّ إلينا ويضربنا، ثم نحن لا نفهم أن هذا العنف هو عنفنا نحن أكثر مما فهمنا ذلك في المرات الأخرى"[17]. بسبب هذه الهواجس يحذّر الشيوعيّون الجزائريّون والفرنسيّون على حدّ سواء من العنف الذي قد يولّد ثورة لا يمكن التحكّم فيها، وهو الذي حصل بالفعل في مطلع نوفمبر 1954.

وفي لحظة من لحظات الصّحوة يشير موريس إلى حقيقة تاريخيّة تتعلّق بتاريخ المنطقة. وفي إشارة إلى العرب يقول: "هم أحقّ منّا بالعيش الكريم على هذه الأرض، فقد سكنوها منذ قرون، ولم نأت إليها إلاّ قبل قرن ونيف"[18]. يدركُ الاستعمار هذه الحقيقة ولكنّه يلتفّ عليها ويتجاهلها. إنّ الذي يمنحه الحق في احتلال الجزائر هو قوّته العسكريّة وليس الحقائق التاريخيّة. يستند العقل الكولونيالي إلى عقيدة عرقيّة تخوّله الحق في حكم العالم.

"إنّ مذاهب عبء الرّجل الأبيض قد استُخْدِمتْ من أجل تبرير التّوسّع الاقتصادي، وفي الوقت نفسه من أجل حرمان الملايين في العالم أجمع من حقّ إدارة أنفسهم بأنفسهم"[19]. يقسّم الفلاسفة الغربيّون العنصراويّون البشر إلى صنفين، الرجل الأبيض هو السلالة النبيلة والمتطورة، وتشمل الأوروبيين فقط، أي البيض، وصنفٌ آخر ويشمل الملونين، أي الأفارقة والعرب والآسيويين. وداخل ذينك الصنفين توجد تراتبيّة مفصّلة، تقدّم قوميّة على أخرى بحسب هوى الفيلسوف وموقعه الجغرافي والثقافي. وعندما يشير موريس إلى علاقة العرب التاريخيّة بأرض الجزائر، فهي محاولة لدحض التقسيم العرقي الذي يُقصي العرب من أرضهم التاريخيّة ويمنعهم من حكم أنفسهم، ردّا على مقولة كارل مارس "إنهم عاجزون عن تمثيل أنفسهم، يجب أن يمثّلوا"[20]. وهكذا تكون فرنسا قد برّرتْ احتلالها لإفريقيا. إنّهم قاصرون عن الحكم الرّشيد، تاريخهم هو تاريخ الاستبداد السياسي. يجب أن يقبلوا بحكم العالم المتحضّر، وهذا خير للإنسانيّة كلّها. والإنسانيّة من وجهة نظر غربيّة هي أوروبا، والآخرون هم بقيّة العالم، هم ملحقٌ يُحفظُ لوقت الحاجة، أو يُمحى من الوجود.

مع انطلاق الشرارة الأولى لحرب التحرير ينضمّ إليها الحزب الشيوعي الجزائري سياسيّا وعسكريّا. وينخرط موريس في أداء مهامه باعتباره عضوا نشطا في الحزب. كان يخفي شخصيّات عسكريّة مقاومة عن العدو ويوفّر لبعض الجرحى العلاج، وينقل بيانات الجبهة من مكان إلى آخر، حتّى ألقي عليه القبض من قبل فرقة من المظليين الفرنسيين، وهنالك تعرّض لأصناف من التعذيب على أيدي القوات الفرنسيّة. حاول مرّة تذكيرهم بأنه فرنسي فردّ عليه القبطان: "أنت مجرّد خائن لبلادك؛ لم تعد مواطنا فرنسيّا منذ أصبحت تدافع عن هؤلاء الإرهابيين القتلة من العرب؛ أمّا الجيش فقد لفظك بعد أن اكتشف قذارتك"[21]. تنظرُ السلطة الفرنسيّة إلى مواطنيها المتعاطفين مع ثورة التّحرير على أنهم خونة، ولا يستحقّون أن يحملوا جنسيّتها. إنّهم عملاء لمنظّمات إرهابيّة. كما أنّ سلطة الاحتلال تنظر إلى الثّوّار على أنهم إرهابيّون يجب قتلهم أو إخضاعهم بالقوّة. إنّ هذه الصّور النمطيّة عن المقاومة الوطنيّة تتكرر مع كلّ الثّورات. فالجيش الإسرائيلي يتحدّث عن فصائل المقاومة باعتبارها مجموعات من المخربين. وهكذا تحرمهم من صفة المواطنة، وتلتفّ على قضيّتهم العادلة. لقد تحدّث وزير دفاع الكيان عقب انطلاق طوفان الأقصى عن الفلسطينيين باعتبارهم وحوشا بشريّة. وهكذا يجرّدهم من إنسانيّتهم، فلا يكون قتلهم جريمة حرب.

إنّ الاستعمار عقيدة واحدة مهما كانت جنسيته، ومهما كان ضحاياه، وإنّ طبيعته الإجراميّة هي نفسها. فهو لا يتقن إلاّ القتل والتّعذيب والقهر، وتزوير الحقائق. فلا فرق بين الاستعمار اليهودي لأراضٍ عربيّة وبين الاستعمار الأمريكي أو الأوروبي لبلدان عربيّة. إنّ الأنماط نفسها والكليشيهات المحقّرة يتمّ تصنيعها في مؤسساته الثقافيّة والدّعائيّة وترويجها عبر العالم، لاكتساب شرعيّة وهميّة لاحتلال أراض أجنبيّة واستعباد ساكنتها أو تدميرهم ودفنهم أحياء. غير أنّ هذا الاحتلال بأشكاله المتنوّعة وخطاباته المتشاكلة لم يعد قابلا للتخفّي. فمن رحم الغرب ترتفع أصواتٌ مناهضة لدعايته، ومناوئة لمشاريعه.

كان جون بول سارتر فيلسوفا فرنسيّا وجوديّا، وكان معاديا لحكومة بلده الاستعماريّة، ومناهضا لسياسة التّعذيب والاختفاء القسري والتّهجير. كما كان الطبيب الفرنسي فرانس فانون مناضلا في صفوف جبهة التحرير الوطني ولا تزال آثاره العلميّة تثري الجانب المشرق في العقل الغربي. وكذلك كان المناضل الشاب موريس أودان، الذي قتل تحت التعذيب، ولم تعترف فرنسا بقتله إلاّ في السنوات الأخيرة. لقد ظلّت السّلطات الفرنسيّة تنكر المسؤوليّة عن اختفائه طيلة سنوات الحرب.

لقد كان إنكار الاختطاف والتعذيب سياسة استعماريّة ثابتة. مارسها مع أعدائه في الجزائر وخارجها. فالعنف ضرورة كولونياليّة حيويّة وملازمة لوجوده. فلا يوجد استعمار دون عنف، كما لا يوجد عنف دون عنف مضاد. وها هو أشهر دعاة الإصلاح في الثورة الفرنسيّة كوندورسي يرى أنّ "من واجب سكّان أوروبا تمدين أو إبادة الأمم المتوحشة التي تحتلّ مناطق شاسعة من قارّتهم"[22]. ولقد مارسوا هذه الإبادة خارج حدود أوروبا مع الشعوب التي يعتبرونها بدائيّة ومتوحّشة وهمجيّة.

خاتمـــة:

تعرض هذه الدّراسة لرواية "بعيدا عن الأعين" لسليم عباد، وهي تحمل خطابا مضادّا للكولونياليّة. لقد كان موريس أودان صوتا ثوريّا، ورغم قصر حياته إلاّ أنّه ترك أثرا بليغا في تاريخ المقاومة الثقافيّة التي أسندت حرب التّحرير الكبرى وصنعت جوهرها الإنساني. كما أنّ فكره الأكاديمي ونشأته الإنسانيّة، وأصوله الطّبقيّة، جعلت منه نموذجا للمثقف الحر، الذي يثبت على مبادئه أمام الآلة الجهنميّة لجيش الاحتلال.

يمثّل أودان صوت الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان منحازا لقضيّة الثورة، وقد انخرط فيها ثقافيّا وسياسيّا وعسكريّا.

لم يكن الشّعب الفرنسي كتلة واحدة بخصوص الموقف من الاستعمار الفرنسي للجزائر وتبعاته الأخلاقيّة المسيئة لصورة فرنسا التي كانت ترفع شعارات الثورة الفرنسيّة ذات البعد الكوني. لقد كان عدد كبير من المفكرين والسياسيين والأدباء مناهضين للاستعمار وللتّعذيب والاختفاء القسري والإبادات الجماعيّة التي كان الاستعمار الفرنسي يمارسها في حقّ القرى.

تكشفُ هذه الرواية عن الخط الفكري الذي يميّز الكاتب الناشئ سليم عبادو. إنّه يمارس الكتابة الروائيّة والقصصيّة بالموازاة مع نشاطه الطّبي الاعتيادي، إذْ إنه طبيب مختص يملك هوس الكتابة الأدبيّة، بصفتها مكمّلا لفكره المتنوع.

الإحالات والهوامش:

1- بيل أشكروفت، جاريث جريفيث وهيلين تيفين، (2010)، دراسات ما بعد الكولونياليّة، ترجمة أحمد الروبى وأيمن حلمي، وعاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط الأولى، ص 106.

2- إبراهيم بوخالفة، الكولونياليّة وما بعدها، مجلة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، المجلد 13، العدد،2، 2021/09/15، ص 3.

3- بيل أشكروفت، جاريث جريفيث وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونياليّة، ص 106.

4- كومبرادور (بالإنجليزية: Comprador) هو مصطلح سياسي يكثر استعماله من قبل التيارات الاشتراكية واليسارية ويعني طبقة البورجوازية التي سرعان ما تتحالف مع رأس المال الأجنبي تحقيقا لمصالحها وللاستيلاء على السوق الوطنية، أصل الكلمة برتغالي وتعني باللغة البرتغالية المشتري. الكلمة المضادة لكومبرادور هي الوطنية أو القومية، وهي الأفكار المعادية للاستعمار وأنشطته المختلفة.

5- بيل أشكروفت، جاريث جريفيث وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونياليّة، ص 106.

6- بيل أشكروفتْ، غاريث غريفيث، وهيلن تيفن، الردّ بالكتابة، (2006)، ترجمة شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 1، بيروت، ص 16.

7- صدر الكتاب عن مؤسسة اقرأ للعلم والمعرفة بباب الزوار، الجزائر في جانفي 2025.

8- إبراهيم بوخالفة، المرجعيات المستعارة في الرواية الجزائريّة المعاصرة، (2025)، مؤسسة اقرأ للعلم والمعرفة، الجزائر، ط 1، الجزائر.

9- جيرار لوكلارك، الانثروبولوجيا والاستعمار، (1990)، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع، بيروت، ط الثانية، ص 126.

10- جيرار لوكلارك، الانثروبولوجيا والاستعمار، ص 156.

11- سليم عبادو، بعيدا عن الأعين، (2025)، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ص 21/20.

12- تزفيتان تودوروف، نحن والآخرون، (1999)، ترجمة ربى حمود، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ص 234.

13- مايكل هاردت وأونطونيو نيغري، الإمبراطوريّة، (2002)، تعريب فاضل جنكر، العبيكان للنشر والتوزيع، العربية السعوديّة، ص 186.

14- سليم عبادو، بعيدا عن الأعين، ص 111/110.

15- م ن. ص 135.

16- م. ن. ص 141.

17- فرانس فامون، معذّبو الأرض، (2004)، ترجمة سامي الدروبي، وجمال أتاسي، منشورات Anep، الجزائر، ص 29.

18- سليم عادو، بعيدا عن الأعين، ص 42.

19- جيرار لوكلارك، الانثروبولوجيا والاستعمار، ص 153.

20- إدوارد سعيد، (نقلا عن كارل ماركس، برومير الثامن عشرللويس بونابارت)، الاستشراق، (2005)، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، لبنان، ط7، ص 35.

21- سليم عبادو، بعيدا عن الأعين، ص 184.

22- تزفيتان تودورف، روح الأنوار، (2007)، ترجمة حافظ قويعة، نشر مشترك بين دار الانتشار ودار توبقال ودار ومحمد علي، ط1، ص 32.

المصادر:

1- سليم عبادو، بعيدا عن الأعين، (2025)، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1.

المراجع:

1- بيل أشكروفت، جاريث جريفيث وهيلين تيفين، (2010)، دراسات ما بعد الكولونياليّة، ترجمة أحمد الروبى وأيمن حلمي، وعاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1.

2- إبراهيم بوخالفة، الكولونياليّة وما بعدها، مجلة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، المجلد 13، العدد 2، 2021/09/15.

3- بيل أشكروفتْ، غاريث غريفيث، وهيلن تيفن، الردّ بالكتابة، (2006)، ترجمة شهرت العالم، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 1، بيروت.

4- إبراهيم بوخالفة، المرجعيات المستعارة في الرواية الجزائريّة المعاصرة، (2025)، مؤسسة اقرأ للعلم والمعرفة، الجزائر، ط الأولى.

5- جيرار لوكلارك، الانثروبولوجيا والاستعمار، (1990)، ترجمة جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع، بيروت، ط 2.

6- تزفيتان تودوروف، نحن والآخرون، (1999)، ترجمة ربى حمود، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.

7- مايكل هاردت وأونطونيو نيغري، الإمبراطوريّة، (2002)، تعريب فاضل جنكر، العبيكان للنشر والتوزيع، العربية السعوديّة.

8- فرانس فامون، معذّبو الأرض، (2004)، ترجمة سامي الدروبي، وجمال أتاسي، منشورات Anep، الجزائر.

9- إدوارد سعيد، الاستشراق، (2005)، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، لبنان، ط 7.

10- تزفيتان تودورف، روح الأنوار، (2007)، ترجمة حافظ قويعة، نشر مشترك بين دار الانتشار ودار توبقال ودار محمد علي، ط 1.